المجلس الثالث

الوقف تجارة مع الله ﷻ

المجلس الثالث

الوقف تجارة مع الله ﷻ

قال ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩]، إنها التجارة مع الله ﷻ وهي الطريق الصحيح لتوصيل الإنسان العاقل إلى غايته المتمثلة في السعادة في الدنيا، والنجاة في الآخرة.

ولقد سأل الصحابة ﷺ النبي ﷺ عن أفضل أنواع التجارة حتى يعملوا بها، فنزلت الآيات الكريمات من سورة الصّف، قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ ﴾ [الصف: ١٠-١١][(١)].

لقد فهم الصحابة الكرام ﷺ هذا النداء القرآني جيدًا واستوعبوا من معلّمهم ومرشدهم ومربيهم ﷺ أسس هذه التجارة وآدابها وقواعدها فانطلقوا يتسابقون ويتنافسون إلى الخير وفي الخير، لقد شمّروا عن سواعدهم، وحملوا أرواحهم على أكفّهم، وخاضوا معارك كثيرة، إعلاء للراية، ونصرة للدين وتمكينًا له في الأرض، وسعيًا للشهادة، وقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﷺ.

ولقد ضرب الصحابة ﷺ أروع المثل في البذل والعطاء والتضحية والتجارة مع الله ﷻ، لكن يبقى ما فعله الصحابي الجليل ثالث الخلفاء الراشدين، وثالث العشرة المبشرين بالجنة، ورمز الحياء والكرم ذو النورين عثمان بن عفان ﷺ يبقى أنموذجًا من أروع النماذج الخالدة، وصورة لتجارة رابحة مع الله ﷻ بدأت قبل ما يزيد عن أربعة عشر

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد: (٦٧١/٢)، جامع البيان: (٦١٦/٢٢)، الدر المنثور: (٤٤٨/١٤).

قرنًا من الزمان مع مَقدم النبي ﷺ إلى المدينة عندما أقدم عثمان ﷺ على شراء «بئر رومة» ليوقفه للمسلمين فيشربوا منه بلا مقابل بعد أن كان يباع لهم بما يزيد على طاقتهم.

خليفـــة الجـــود ذو النـــورين عثمـــانًا ... بـدر الصـحابة إنفاقًـا وإحسـانًا

نلـــت المحبـــة في قلـــب النـــبي ومـــن ... ســواك بنتــاه مــن أزواجــه كــانا

لـك الحيـاء الـذي مـن صـدقه خجلـت ... ملائـك الله لمـا فـاض إيمـانًا[١]

لما قدم النبيّ ﷺ والمهاجرون ﷺ المدينة استنكر المهاجرون ماءها إذ لم يكن فيها ماء عذب إلا ماء بئر رومة وكانت على الصحيح لرجل من بني غفار يسمى رومة الغفاري، وكان لا يسمح بالشّرب منها إلا بثمن فكان يبيع منها القربة بِمُدٍّ، فقال له النبي ﷺ «تبيعنيها بعين في الجنة؟» فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ» وفي رواية أنه قال: «مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ» فَاشْتَرَاهَا عُثْمَانُ ﷺ[٢]، من صلب ماله، ولم يميّز نفسه عن أحد من روّادها بل جعل دلوه مع دلاء المسلمين ابتغاء الأجر والثّواب الذي وعده به رسول الله ﷺ وهو الصّادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى.

ولأن القصد والغاية كانت مرضاة لله ﷻ ورسوله ﷺ فقد استمرت هذه التجارة حتى يومنا هذا بل وستظل إلى ما شاء الله لها أن تدوم، وتعتبر البئر أول سبيل لسقي الماء في الإسلام، ولقد أثمرت هذه التجارة «البئر» أشجارًا ومزارع ومباني وحدائق بل أصبحت تمثل حيًا كاملًا من أراضي أحياء المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم[٣].

---

(١) من أنشودة بعنوان «ذو النورين» لمشاري العرادة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩/٣).

(٣) للاستزادة ينظر: بئر رومة، للدكتور عبدالله بن محمد الحجيلي الحربي.

لله درك في بـــــذل وفي كـــــرم ... يا مـــن تلـــوّن فيـــه الخـــير ألـــوانًا

بـــذلت نفســـك للإســـلام تنصـــره ... والمـــالُ ترســـله حبًـــا وقـــربانًا

يا مـن لـه بيعـة الرضـوان قـد عقـدت ... والمؤمنـــون جنـــوا عفـــوًا وغفـــرانًا

وكـــفُّ أحمـــد قـــد نابـــت مبايعـــة ... عـــن كفـــه فغـــدت يمنـــاه عثمـــانًا[١]

وإن من أعظم الصدقات والأوقاف ما كان في سقيا الماء، جاء في الحديث عن سعد بن عبادة ﵁ أنه قال: يا رسول الله إن أمي توفيت ولم توص أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال ﷺ: «نعم وعليك بالماء»[٢]، وجاء عنه أيضا أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصدقة سقيا الماء»[٣].

بل إن الله ﷻ يغفر للعبد الذنب بسبب سقيا الماء، ولو كان لبهيمة أو حيوان، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ اشتدَّ عليهِ العطَشُ فوجدَ بئرًا فنزلَ فيها فشربَ ثمَّ خرجَ فإذا كلبٌ يلهَثُ يأكلُ الثَّرَى منَ العطَشِ فقالَ الرَّجُلُ لقد بلغَ هذا الكلبَ منَ العطشِ مثلُ الَّذي كانَ بلغَ بِي فنزلَ البئرَ فملأ خفَّهُ ثم أمسَكهُ بفيهِ فسقى الكلبَ فشكرَ اللَّهُ لهُ فغفرَ لهُ قالوا يا رسولَ اللَّهِ وإنَّ لنا في البهائمِ أجرًا فقالَ في كلِّ ذاتِ كبِدٍ رطبةٍ أجرٌ»[٤].

ويستقى مما سبق ما يلي:

* أن سقيا الماء من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب شربة ماء، فكيف بمن سقى رجلًا مؤمنًا موحدًا! بل كيف بمن حفر بئرًا

---

(١) من أنشودة بعنوان «ذو النورين» لمشاري العرادة.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط: (٨٠٦١). وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٦١٥).

(٣) أخرجه أبو داود (١٦٨١)، النسائي (٦/٢٥٤ -٢٥٥)، ابن ماجة (٣٦٨٤)، وحسنه الألباني.

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٦٣)، مسلم (٢٢٤٤).

أو وفر برّاد ماء للمسلمين!!.

* أن البركة جند خفي من جنود الله ﷻ يهبها لمن يشاء من عباده، لذا على المسلم أن يسعى في الحصول عليها بالصدق مع الله وإحسان النية واللّجوء إلى الله ﷻ وسؤاله قال ﷺ عن عيسى عليه السلام ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾﴾ [مريم: ٣١].
* الأثر البالغ والدور الكبير لناظر الوقف في نمائه وبركته وزيادته، لذا فإنّ على من تولى وقفا أن يسعى جهده في إصلاحه والعناية به كما يعتني بماله الخاص بل أكثر من ذلك، محتسبًا الأجر من الله ﷻ ومبتغيًا الثواب منه ﷻ.
* أن الوقف في سبيل الله من أعظم أسباب دخول الجنة حيث رغّب النبي ﷺ في شراء بئر رومة ووعد من اشتراها أو حفرها بالجنّة.
* فضل الصّحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث كان من المبادرين والمسارعين إلى الخيرات.